(لكلِّ مسافةٍ سكّانٌ أصليّون)

ـ شوقي مسلماني.

ـ شقائق، أجنجة، نظرات، خواطر وكلمات ـ

****

آن
أوانُ الكشف
على رأسِ الدمّ
لكي نعرف
كم بلغَ عددُ الكسور.

(1)

طبعُها سمّ
عقاربُ الساعة.

..

صخور
وصقيع
عشاءُ الماعز.

..

رجلٌ
في المرآة
عيناه جمرتان
ولا صوتَ
حتى ولو صرختُ
بملءِ فيه.

..

وتمرُّ بالألوانِ
المجنّحةِ والدّابةِ
الزاحفةِ
والمتشبّثةِ بالصخور
وفي الألوان تهبّ رياحٌ
تتساقط أمطار
ويحيا كثيرون ويموت كثيرون
ولكلِّ مسافةٍ سكّانٌ أصليّون.

وفي الدمّ الأحمرِ المرجاني
والدمِ الأخضرِ الزمرّدي

والدمِّ الأزرق الفيروزي
وكما في كلِّ دمّ، تصطفّ طائفتان
ويطلبُ بطلُ طائفةٍ بطلَ الطائفةِ الثانية
ويتبارز الخصمان
وكلٌّ قِلّةٌ من القِلل أو قطعةٌ فُصِلتْ من جبل
ويحوّم فوقهما غرابُ البين ويحين عليهما الحين
ويبري أحدُهما رقبةَ الآخر كما يبري الكاتبُ القلم.

وفي كلِّ دمٍ أعشاشٌ وزهور
فراشاتٌ، حبٌّ، بحارٌ، جبالٌ، سماء
والمنقرِضُ منذ مئات ملايين السنين.

وفي الرأسِ القزحيِّ
حتى في الرأسِ القزحيّ
تزأرُ الغابةُ، تتسلّل، تزحف
وحجارةٌ كثيرة ورماح كثيرة
ومسالك سالكة
ومسالك مهلِكة.. ولهيب.

وإذا تمزّقتْ شبكةُ الألوان لحرَجٍ أو سوءِ خلق
ولم تُحفظ وتُرتق، وربّما في زمانِك، قل انتهى هذا الفصل.

..

أنتَ
تجتاز المسافة
تصنع المسافة
وما يشتعل وما ينطفئ.

..

رملٌ
يطعنُ رملاً
لحمٌ
يمزّقُ لحماً
وحجرٌ
يُطارِدُ حجراً.

..

"مَنْ يتذكر
كيف أُخرِجت بُخارى إلى ظاهرِها
بخارى ـ هيروشيما، جنكيز خان ـ ترومان..
آدم وحوّاء..
لا يزال الفشلُ قائماً منطقاً، تجريداً

مِنْ مدنِ الطين إلى عُمُدِ الفولاذ
ومِنَ القلوبِ المسحوقة
في عطفةِ الكهف".

..

قلبي الغاضب
يهربُ بعقلي نحو الزاوية المعتمة.

..

ضدٌّ يقتلك لأنّكَ ضدّه
ضدٌّ يقتلك لأنّكَ على يسارِه
ضدٌّ يقتلك لأنّ كلبه لم يستطع أن يعضّك
ضدٌّ يقتلك لأنّ ملّته طلبتْ
ضدٌّ يقتلك لأنّكَ كهرباء أو شجرة
وضدٌّ يقتلك لأنّكَ تريد أن تعمل..
ضدٌّ يقتلك لأنّ لباسك غير لباسه
يقتلك لأنّك تسير على قدمين
لأنّه يظن أنّك حين تزرع
أو حين تصنع
تكون لا تزرع ولا تصنع
وضدٌّ يقتلك لأنّ شكلَ رأسِك

ليس هو الشكل المطلوب
أو لأنّه ربّما يشعرُ بالملل.

..

أصلِحْ
يا سيّد هذه البريّة
ما تعجز دونه العناصرُ.

..

إرحلْ
إلى أينما تشاء
ما أكثر أن تتحوّر الحكاية
رياضةٌ هذه التي ترميك؟
تخلّصْ من ذهنيّة
لا تعرف كيف تخرج.

..

"أيّها السادة
لي فيكم بنفسج.

كان في جسمٍ قوي

وقلبٍ حمي، وخلقٍ حيي
القوام مفتول، النفس حلوة
كان فتنة في فتنة
كان أجمل شباب المدينة.

لم يتخلّق بما ينفِّر الناس
ولا وقع فيه شيء من الدنايا
التي تذهب بالمروءة أو تخدش الشرف
لسانه عفّ، لم ينطق بهجرٍ قط.

كانت قسيمة، وسيمة
غضّة كالورود، خفيفة، لطيفة
عطريّة كأنفاسِ البنفسج
ترسلُ شعرها الناعم الطويل
على ظهرِها العاجي تارةً
وصدرِها المرمري تارةً
يداعبُه النسيم، تقبّله الآلهة
كانت ترنو بعينين نجلاوين
وتفترّ عن فمٍ خمريّ شتيت
كانت أجمل حِسانِ المدينة.

والتحقَ بسفينة
وغدا ربّاناً خبيراً بدرجاتِ الشمس
واسعَ الدراية بمواقعِ النجوم
عارفاً بأحوالِ الرياح والأنواء
عليماً بمعالمِ اللّججِ
بمواضعِ الشطوطِ والصخور.

ورأى كروعَ كرمة ضخمة
تنمو وتعرّش فوق سفينته
تعلقُ عساليجُها بالقلوع وبالمجاذيف
تلتفّ أظافيرُها حول الحبال
ألقى نفسَه في البحر الذي يفور ويثور
وتلاعبتْ به أمواجُه.

وكان شيءٌ صغير
يتأرجح على صفحةِ اليمّ
في غبشةِ الصبح
آه، إنّه غريقٌ آخر".

..

أينما كانوا

وإلى أينما ارتقوا
أعلى قاماتُ الشجر.

..

ما لا ينبت في الخيال
ذاته يوماً هو شجرة الظلال.

..

وأقصى الحكمةَ والحيلةَ لكي يرقص
أقلُّ العتمة أقصى قدرةٍ على الضوء.

(2)

معارك دامية
على طولِ جبهاتِ الخطأ.

..

ميناء
لبحّارة تفحّمُهم الشمس

الميناءُ يسأل عن بحّارة

البحّارةُ يسألون عن ميناء.

..

وربّما المسألة
هي مثلما تكون الرؤية
من وراء حجاب كاشف
ما قد تحتجّ به أيضاً مؤسّسة
الأخلاقُ السائدة، الجماعاتُ السائدة
الأطروحاتُ السائدة، الأسماءُ السائدة والمُغلَقة
الصعودُ هبوطاً، الطعناتُ المتبادلة

ميدانُ القتال يطاله التحديث
العينان الإثنتان، العينُ الثالثة
المقتلعة عن سابقِ إصرار ورصد

الجُنَح، الجنايات، الذين هُزِموا ونهضوا
أن تعيش كريماً أو تموت عزيزاً عند ذروة

الصفحةُ قبلها صفحة
وبعدها مجرّد صفحة في كتاب
صدْفة، خطأ وحظّ

وليس ربّما بل بالتأكيد
وهذا الخلل أيضاً مِنْ عيوبِ هذه المؤسّسة.

..

أيُّها المُلقى مِنْ سمائك
مطعونٌ في قلبِ قلبِك؟
هذه المسافة، وكلُّ مسافة، جفّتْ
وليس بعدُ إلاّ خردة ظلّك؟
هل أُصِبْتَ أيّها الملقى مِنْ سمائك على ظلّك
في الملحِ الواسع؟
قلْ غير انطفاء جناحيك
غير هذا التشنّج في قبضتيك
وغيرَ هذا الذهول في صفاء سماوات عينيك.

..

ما تشاء قلْ
متى ما تشاء وأين ما تشاء
هو مجرّد فأر
الطريقُ سالكة وآمنة
قلْ إنّك أخذتَ الله من يدِه نحو زاوية

وإنّك استشرتَه وهو ابتسمَ وباركَ مسعاك
قلْ: هذه الحرائق هي من حفلِ شواء
هذا الثقب في الصدغ مسرب الأوكسجين
إنّ يدَك قويّة وعينك عين نسِر
أو تريد أن تكسر كلّ مَنْ لا يريد أن ينكسر.

..

أحمال وعمّال هُنا وهناك
إرتزاق بمذاق وهمجيّة بعسل.

..

الدليل
على جريمةِ الناب
أنّه ناب
والدليل على براءته
أنّه ناب!.

..

لم تقتله الطعنةُ في الظهر
لكنّها كانت الأشدّ إيلاماً.

..

الصنّارةُ في الطُعم
القصبةُ بيدِ صيّاد ماهر
نحن نُقبِل على الطُعم
ويعودُ العماءُ يوميّاً
إلى عرينه
بسلّةٍ ملأى بالسمك.

..

ضغطُ الجهات آلةُ الإنتاج
لا رحمة أيضاً ولا إستثناء.

..

مِزَقٌ هائلة
في شبكةِ عينِ الحياة.

..

سياج
لا عدّ ولا حصر.

..

يفترق فيجتمع
ويجتمع فيفترق
هو في السكون
كما هو في العاصفة
أنا هو وهو أنا.

..

يغيب فيحضر ويحضر فيغيب
نتحاور مِنْ عالمين قريبين وبعيدين
كلّي كلّك ـ أنت أنا وأنا أنت.

..

لا تغفلْ
عن موضع الأفعى
سمُّها
بلغَ عظامي.

..

عند أقصى قاعِ السكينة
الهندسةُ جوهرة والعقل يُرى ويُسمع
الداءُ ليس في علوم الحروب

الداءُ في حياةٍ عاشت وماتت
وكثيرون يصرّون
أن تظلّ بعدُ على الأكتاف
العنصريّةُ داء
وهذا القتل بالتجويع.

..

تغطّي
وجه الشمس؟
لا تريد
أن ترى الشمس؟
كيف سترى؟
إذا لا تريد أن تراها
أنا أيضاً لا أريد أن أراك
وإذا رأسُك دمّلة
رأسي أيضاً دمّلة.

..

الوجه ملائم
لمشهدِ الجراد.

..

9 نيسان 1948
من الخامسة فجراً
إلى الحادية عشرة ظهراً
عيونُهم حادّة، مُجرَّبون
وأنتم كلٌّ منكم في قاعِ جرحِه
بالكاد برأس
طهارةُ سلاحِهم
عينُ هولوكوست 9 نيسان 1948 -
شرط 15 أيّار 1948..
سرقوا النقودَ، المواشي، السكّرَ، الطحين
أنتم موضوع طهارة سلاحهم..
وقال شاهدُ عيان
عمل طبيباً في الجيش البريطاني
سنوات الحربِ العالميّةِ الثانية:
لم أرَ يوماً مثل ما رأيتُه في 9 نيسان 1948
احتجزوا النساء، الأطفال، الشيوخ
درزوهم بالرصاص
قتلوا طفلاً
أُغمي على الأمّ الشابّة
قُتلتْ

وهي يُغمى عليها
بقروا حبلى
شابٌّ هزيل تنكّر بملابس أمِّه
لم يشفع منظرُه الذي أضحكهم
رشقوه بالرصاص
وأضرموا فيه النيران بحضور الصحافة العالميّة
جِثثٌ في الطرقات، جِثثٌ في زوايا البيوت
وشاهد عيان آخر
كان ضابطاً في الجيش البريطاني أيضاً
قال: ما أكثر الجرائم في العالم.

..

تعوم آمناً
بين فكّيّ القرش؟.

..

أوّل ما تخرج
سترى وجه الوجه.

خطأ أن تنشب
أنيابٌ ومخالب

لم يكن مَن يستدرِك
لا شلاّل فضّة
لا شامة ـ ندى على خدّ وردة
لا يد من ريش النعام.

خطأ
يتأكّد يوميّاً.

..

ما الإشكال
أن تكون فيك
وأن تكون في غيرك؟
ما الإشكال
أن تكون عكّازهم
وهم عكّازك؟.

..

"نحن أبناء شمسِنا بالتبنّي
أمُّنا شمسٌ أكبر ماتت لنكون".

..

"جوهرةٌ خضراء
حجمُها أضعاف طباقِ السماوات والأرض
ونظرةٌ، وإذْ هي ماء، ونظرةٌ، وإذِ الماء يغلي
والأرضُ على عاتق
اليدان: في المشرق واحدة، وثانية في المغرب
ولا موضع للقدمين
ونظرةٌ، وإذْ ثور بسبعين ألف قرن وأربعين ألف قائمة
سنامُه قرارُ القدمين، ولم تستقرّا
فنظرةٌ، فإذْ ياقوتة خضراء مجوّفة
حجمُها مسيرة خمسمئة سنة
مِنْ سنام الثور إلى أذنه
استقرّت القدمان
أنفُ الثور في البحر
يتنفّس كلَّ يوم نفساً
فإذا تنفّس مدَّ البحرُ
وإذا ردّ نفسَه جزر
ولم يكن لقوائمِ الثورِ موضع قرار
ونظرة، فإذْ صخرة خضراء
واستقرّتِ القوائمُ
لكنْ لم يكن للصخرة مستقرّ
ونظرة، فإذْ حُوْت إسمه لوتيا

وكنيته بلهوت ولقبه بهموت
يحملُ الصخرة على ظهرِه
وسائرُ جسدِه
خال
قال
والحوتُ على البحر".

..

على
مقدارِ العقلِ
يعبرُ الغد.

..

ضوء في العتمة
قفْ وسط الضوء.

..

أقولُ فأصمتُ وأصمتُ فأقول
صمتٌ في كلام وكلامٌ في صمت
الصمتُ قبل العاصفة والصمتُ بعدَ العاصفة
السمُّ يتقيّأ خدودَه والسقوطُ أعلى مِنْ برجِ الهاوية.

..

خسرانٌ
ملءُ الوجه.

..

"الأشقى!
ظلُّ الشجرة".

..

الإصابة!
هي من الجهاتِ كافّة.

..

كلُّ جهة
هي جهةُ خرائب.

..

إذا غلب أمرُ هؤلاء
قالوا: "بسببِ فرحنا بأجسامنا"
وإذا غلبَ أمرُ أولئك

قالوا: "لأنّنا فتحنا النوافذ لأرواحنا".

..

دخلوا
إلى الحكاية
ولم تكن حكاية
وقعوا في الأسر
مع الصخور والسمّ.

..

وفيما يزدهي عمراناً
ويطوي المحيطات والفضاء
كان يستبدل خلقَه يوميّاً.

(3)

كان
الماءُ العذبُ
كان
الماءُ الآسن
الترياقُ، السمّ
ما يسبح، ما يزحف

ما يدبُّ، ما يهبّ
مثل زفير الآن وشهيقه.

..

بالصوت والصورة وقائع المذبحة
الجثثُ في الشوارع، الجثثُ تحت الأنقاض
وهي تكتب: "لا، لا تصدِّقوا"
صديقُها ضابط في الجيش الأمريكي
يراسلها من قاعدة عسكريّة في العراق
عبر البريد الألكتروني
يؤكِّد أنّ "كلّ شيء هادئ على الجبهة الغربيّة"
وأنّه لا يذرع غرفته ذهاباً وإياباً
رافعاً فأساً تقطر دماً
ودليلها على صدقه
أنّه صديقـها.

..

وتبكي
كلّما رأتْ دمعةً
على خدّ
الدمعُ والدمُّ معاً

يسيلان
على العتبة.

..

لا يعقل
أن تكون البداية
إلاّ من نهاية
قطارٌ
لا أوّل ولا آخر
قطارُ الإنتظار
وقد تعثر
على جوهرة
في غدير
وقد تشعّ وردة
في اليد.

..

ما تَعاقَبَ
ما يحثُّك، ما يعتريك
ما يؤلمك، ما يُلزِمُك ويَلزَمُك
وترى إلى المستحيل.

..

أين هو
المحاط بالعويل؟.

..

خبرتَ
كسورَ الطريق
خبرتَ
الرملَ الواسع
خبرتَ
السياطَ والجحورَ
والرياحَ التي لا تهتدي
والمركبَ اليابسَ في الشمس.

..

البقرةُ هذه تُعلَف
البقرةُ هذه للذبح!.

..

يترتّب

أن تكون قلوب
يترتّب
أن تكون عصافير
كلٌّ هنا هناك وكلٌّ هناك هنا
منذ نملة، منذ عابر هو الآخر
كلّ ما تظنّه خذْ حذرك
ما تظنّه ليس مَنْ خبِرتَه
بل مَنْ هو يختبرك
عينُ اللامنطق هو المنطقُ السائد.

..

ومثلما في الخارج موت
كذلك في العقلِ وفي القلبِ
مساحاتٌ تغرق
يعلمون غير أنّهم لا يُقلِعون
عن عاداتٍ سيّئة.

..

ذاته
فوق المشرحة
ذاته

مُسجّى
وعيناه
فوق صدره..

صديقي
أيّها المستلقي
وغير آبه بعدُ
هل تقول أنّكَ خرجتَ
منكَ إليكَ؟.

مشيتَ طويلاً في الغابة
مشيتَ طويلاً في الشوارع
وكثيراً
نزلتَ إلى البحر.

صديقي ماذا ترى؟
هل أيضاً حيث أنتَ تصوّرٌ وتصميم؟
هل يوجد عندكَ بحر؟.

صديقي المستلقي
مثلكَ أنا مشيتُ طويلاً في الغابة

مثلكَ مشيتُ طويلاً في الشوارع
ومثلكَ كثيراً عن تصميم
نزلتُ إلى البحر.

وكم مشينا معاً عند حافّةِ الهلاك
الصُدْفةُ كم كانت تزنُ لنا.

أراكَ تمضي
ومن ثمّ كأنّكَ تقف وتلتفت
ولسانُ حالكَ يقول:
أشياء تعرفها
وأشياء لم ولن تعرفها.

مثلي
وتحوّم نسورٌ في عينِ الشمس.

كلُّ هذا القلب
ولا شجرة نخيل؟.

مع مَنْ أو أين في الغابة
قبل ساعة كنت تمشي؟

أين في المدينة قبل ساعة
كنت تمشي؟
هل كنتَ عند البحر؟.

أراكَ تمضي
وعلى مهل في مروج تلتفتْ
مبتسِماً وتقول:
ردّوا الصوت، إسمعوا الصوت.

..

فقط أريدُ
ألاّ يكون هذا السقوط منّي
بعدُ أكثر
أنظرْ إلى مغلولِ اليدينِ والقدمين
تخيّلْ كم حجم الهائل
أصلاً هو صغير الحجم.

..

يعدو
خلفَ ذاته
في قارّة الرمل

حيث الجنون والصراخ
الأبدي.

\\

والحياةُ
هي السبب:
طفلٌ يحبو
وشيخٌ يتحطّم.

\\

ـ "لكلّ مسافة سكّان أصليّون" \ الطبعة الأولى سنة 2009 \ بيروت ـ دار الغاوون.

ـ "وكلّ ما بين مزدوجين منقول أو مترجم وفي الحالين بتصرّف".

Shawkimoselmani1957@gmail.com